ISSN: 2253-0347
مجلـة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد: 03 / السنة: 2021 / ص ص: 391-406

ثورة سعيد بن حكم القُرشي على الموحدين واستقلاله بجزيرة منورقة (631 – 680 هـ / 1233 - 1281 م)

The Revolution of Said bin Hakam al-Qurashi against Almohads and his Control Independently of Menorca island (1233 – 1281)

تاريخ الإرسال: 29 /06/ 2021 تاريخ القبول: 05/08/ 2021 تاريخ النشر: 2021/09/18

سالم كربوعة
جامعة محمد خيضر ، بسكرة، الجزائر، Email : salem.karboua@univ-biskra.dz

الملخص:

تعتبر نكسة العقاب (609 هـ / 1212 م) التي خسر فيه الناصر الموحدي خسارة مذلة أمام الفونسو الثامن بداية لانهيار قوة المسلمين بالأندلس، حيث استغل الفقيه سعيد بن حكم القرشي الفرصة واستولى على إحدى جزر البليار وهي جزيرة منورقة سنة 631 هـ / 1233 م، وأسس فيها دُويلة استمرت لأزيد من خمسين عاما .و هدفنا من هذا البحث هو إبراز الجوانب السياسية والحضارية للدويلة التي أقامها سعيد بن حكم في جزيرة منورقة، إذ بالرغم من الظروف العصيبة التي واجهها المسلمون في الاندلس، أضحت جزيرته ملاذ كل غريب وفار من جحيم الإبادة الجماعية التي مارسها الإسبان لطرد ما تبقى من المسلمين من الأرجاء الأندلسية، أما عن النتائج المُتوصل إليها، فيمكن حصرها في أن الأندلس كانت تحتاج الى شخصية فذة كشخصية سعيد بن حكم للحفاظ على الوجود الإسلامي بها، والدليل على ذلك أنه حينما توفي استولى الإسبان على الجزيرة، بل إنهم واصلوا المذابح الرهيبة لطرد المسلمين منها.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ منورقة؛ سعيد بن حكم؛ميورقة؛ الموحدين؛ جزر البليار.

المؤلف المرسل: سالم كربوعة، Email : salem.karboua@univ-biskra.dz

Abstract:

The setback of the Battle of Las Navas de Tolosa, known in Arabhistory as the Battle of Al-Uqab (609 AH / 1212 AD), in which Al-Nasir Al-Muwahhidhadlost a humiliatinglossagainst Alfonso VIII, isconsidered the beginning of the collapse of the power of Muslims in Andalusia, where the chiefgovernorSa'îd ibn Hakam al Qurashitookadvantage of the opportunity and seized one of the BalearicIslands, the island of Menorca in the year 631 AH / 1233 AD, wherehefounded a state thatlasted for more thanfiftyyears.

The aim of this research is to highlight the political and cultural aspects of the statehood established by Sa'îdibnHakam al Qurashi on the island of Menorca, as despite the difficult conditions that Muslims faced in Andalusia, his island became a haven for every stranger and fleeing from the hell of genocide practiced by the Spaniards to expel the remaining Muslims from Andalusian parts. As for the results obtained, it can be limited to the fact that Andalusia needed a unique personality such as Saeed bin Hakam to maintain the Islamic presence in it, while the evidence for this is that when he died, the Spaniards seized the island, and continued the terrible massacres to expel Muslims from it.

Keywords: Battle of Al-Uqab; Sa'îdibnHakam al Qurashi; Menorca island; Andalusia.

مقدمة:

لم تبق الدولة المُوحدية على قوتها بعد وفاة الناصر عقِب نكسة العقاب بسنة واحدة، إذ طفت إلى السطح الصراعات بين أبناء البيت المُوحدي، وكان لهذا أثره على

العدوة الأندلسية حيث ثار أحفاد عبد المؤمن على بعضهم البعض، وأضحت العاصمة مُراكش مسرحا لكثير من الأحداث الدامية .

وتبع هذا الاقتتال والضعف انهيار قوة الموحدين العسكرية، وتشرذمت جيوشهم بين الطامحين إلى السلطة سواء في المغرب أو الأندلس، وتبع هذا الانهيار ابتداء من سنة (624 هـ/1227 م) انفصال أجزاء كبيرة من شرق الأندلس عن طاعة الموحدين، بقيام ابن هود عليهم، حيث بايع العباسيين بالمشرق، ونازعه في ذات الآن محمد بن يوسف بن الأحمر على الزعامة، حيث استعان بالنصارى لتحقيق مُبتغاه.

وهان الموحدون في نظر من حولهم خاصة الأندلسيين، وحتى إفريقية التي كانت بالأمس القريب مُموّن الموحدين بالأموال والجنود وقاعدتهم الخلفية عند كل خطر، تطلعت إلى الاستقلال تحت قيادة الحفصيين، فما كان على الأندلسيين في هذه الفترة إلا خلع طاعةالموحدين ومُناصبتهم العداء،وطردهم من كل مدن الأندلس،ومُبايعة الحفصيين بإفريقية تارة ، والخطبة باسم الخلافة العباسية تارة أخرى .

في ظل هذه الحالة تطلعت الزعامات الدينية إلى الانفصال بما تحت أيديها من مدن ومناطق، وكان أول هؤلاء الفقيه سعيد بن حكم القرشيالطبيري الذي استقل بجزيرة منورقة، وكان رجل دين وسياسة، فأكسب رعيته الثقة والمحبة بفضل سياسته الحكيمة وتقديره للعلماء، ومن خلال هذا نطرح الإشكال التالي: كيف استطاع سعيد بن حكم الاستقلال بجزيرة منورقة في ظل الظروف الصعبة التي كان يمر بها الغرب الإسلامي ؟، وهذا ماسنجيب عليه في الفقرات التالية، بحيث مهدنا للموضوع، وقسمناه الى عناصر وضحنا فيه المراحل التي مرت بها دولة هذا الفقيه التي استمرت لأكثر من خمسين عاما، وكان هدفنا من كل هذا هو إبراز المعالم السياسية والحضاريةللدولة .

2. سعيد بن حكم القُرشي واستقلاله بجزيرة "منورقةMINORCA " :

لم تتعرض جزيرة "منورقة" إلى ما تعرضت له بقية جزر البليار من عدوان صليبي كاسح،وظلت محافظة على استقلالها ما يزيد قليلا عن الخمسين سنة(631 –

686 هـ / 1233 – 1287 م)، حيث لاقت بعد ذلكنفس المصير، ويعود الفضل في بقاء الجزيرة الصغيرة المعزولة تحت الحكم الإسلامي طيلة هذه الفترة العاصفة من تاريخ المغرب والأندلس إلى شخصية فريدة جمعت شتى تناقضات ذلك العصر، وهو سعيد بن حكم* بن عثمان القرشي الطَّبيريالذي تقلبت به الأحداث، وتنقل من بلدته طبيرة** في غرب الأندلس إلى شتى أرجائها، والتي اجتاحها الغزاة عقب انهيار الحكم الموحدي وتوجه منها إلى افريقية.

بعد إقامته في بجاية وتونس واستزادته من العلم فيهما عن علماء الحاضرتين، توجه إلى "منورقة"*** حيث ولَّاه أبو يحيى التنملي عامل جزر البليار آنذاك على مُجَبَّى جزيرة منورقةوأَمْرِ الأجناد فيها في رمضان 624 هـ / أوت 1227 م، وكانت هذه الجزر آنذاك تمر بفترة حاسمة من تاريخها بعد أن تأزمت العلاقات بين "أبي يحيى التنملي"

* سعيد بن حكم القرشي، بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد العزيز بن حكم القرشي، طبيري أبو عثمان، الشيخ الفقيه الأجل المكرم المرفع الفاضل... جمع بين الرواية والدراية وعلو المنصب وبعد الهمة وله مكارم وأخلاق، وسخاء ومروءة وانتخاء،... له علم بالعربية والآداب، وله نظم ونثر وكتابة مستحسنة، وله مشاورة في العلوم، وله رواية عالية، وكان فصيح القلم و اللسان بارع الخط، وهو ممن لا يُنكر فضله، مولده في جمادى 601 هـ ووفاته في رمضان 680 هـ.، أنظر، (الغبريني، 1979، صفحة 303).

** طبيرة، taveiro : تابعة لقلمريةcoimbra من الناحية الكنسية، وهي على بعد كيلومترين من مصب "نهرمنديق" mondego على البحر قرب حدود اسبانيا والبرتغال، وتبعد 8 كلم عن قلمرية، أنظر، (ابن الأبار، 1985، صفحة 318).

*** منرقة، minorcaهي جزيرة تقابل برشلونة بينهما مجرى، وبينها وبين سردانية مجارٍ، وهي إحدى جزيرتي ميورقة، وهي مِنرقة هذه ويابسة ، ومازالت في المسلمين تحت هدنة الطاغية البرشلوني ومصالحته بعد أن جرى على ميورقة ما جرى، وكان عامل إبن يحيى صاحب ميورقة المُمتَحَنِ بعذاب البرشلوني بعد استيلائه على ميورقة حتى مات رحمه الله مقيما بجزيرة مِنرقة هذه، وهو سعيد بن حكم وقد ضبطها وقام عليها أحسن قيام، وهادن الأعداء وطالت مدته في ذلك وحسنت سيرته إلى أن مات ، فقصدها العدو واغتنم فرصتها واستولى عليها ، أنظر، (الحميري، 1984، صفحة 185)

عامل هذه الجزر ومملكة قطلونية وأرغون، نتيجة للاشتباكات البحرية بين أساطيل البلدين، منذ أواخر ذي الحجة 623 هـ / 1226 م.

بعد أن قضى سعيد بن حكم ما يقارب السنتين في الإشراف على شؤون جباية جزيرة منورقة وقيادة جندها، توجه إلى جزيرة ميورقة قبل أن يدخلها الروم«... عُنوة في منتصف شهر صفر 627 هـ / 31 ديسمبر 1229م،فقُدِّم منها عاملا على منورقة...» (ابن الأبار، 1985، صفحة 318)، ومما يؤكد تولية سعيد بن حكم على جزيرة منورقة قبل عدوان النصارى على جزر البيليارماذكره المقري من أنه لمَّا«...استولى النصارى على "ميورقة"، ثار بجزيرة "منورقة" وهي قريبة منها، الجواد العادل أبو عثمان سعيد بن حكم القرشي، وكان وُلِّيها من قِبل الوالي أبي يحيى المقتول ...»، (المقري، 1988، صفحة 471)وأكد على هذا أيضا ابن سعيد في قوله أن سعيد بن حكم«... وُلِي إشراف جزيرة منورقة إلى أن كان استيلاء العدو على ميورقة 627 هـ/1229 م، فخلا أهل "منورقة" بينه وبين زِمامها ، فأحسن تدبير المسلمين بها...». (إبن سعيد، 1959، صفحة 28)

3.مُعاهدة السلام بين سعيد بن حكم والملك خايمي الأول:

استطاع سعيد بن حكم بن عثمان بعد توليته عاملا على جزيرة منورقة، من قِبل أبي يحيى التنملي أن يكسب قلوب أهلها بحسن الخُلق والإحسان، (إبن سعيد، 1959، صفحة 28) وبعد أن استولى الصليبيون على جزيرة ميورقة في منتصف صفر 627 هـ/ ديسمبر 1230 م توجه سعيد بن حكم إلى جزيرة ميورقة قاصدا الملك خايميJaime el Conquistador فشارط «... على مُتاركته وبتِّ مُساكنته بأتاوة لم يُخِلّ بحملها إليهم في كل سنة، فامتد مَهَلُه وحُمِدت سِيرته، وكثر الانتفاع بهفي جزيرته، وصارت للمُنْقَطِعِ به مفزعًا...». (ابن الأبار، 1985، صفحة 319).

وذكر ابن عبد الملك المراكشي أن سعيد بن حكم عقد صُلحين مع ملك الروم، حيث أنَّه لمَّا دخل جزيرة منورقة في رمضان سنة 624 هـ / 1226م وتولى بها المُجبى بأمر

EISSN: 2602-781X————————ISSN: 2253-0347

من الوالي أبا يحيى* واستمر«... نظره على ذلك إلى أن تغلب النصارى على ميورقة، والتمس من أهل منورقة عقد الصلح بينهم وبين المتغلب على ميورقة، فتوجه إليه وأحكم رباط الصلح بينه وبينهم، وعاد إلى منرقة وأمْرُها راجع إليه ...»، ثم عاد مرة أخرى إلى الروم حيث«... نشأ ما دعاه إلى التوجه إلى ميورقةللأخد على المُتغلب عليها فربط معه الصلح ثانية عن أهل منرقة، إلى أن طرأت فتنة جلت عن استيلائه عن ثغر منرقة وخلوصها له، وذلك لثلاث خلون من شوال سنة 631 هـ / 1233 م، فضبطه أحْكَم ضبط وسار فيه أعدل سيرة، واستقام أمر الثغر على يده، وهابه النصارى المُصاقبون له من كل جهة، فجَرَت أحوال المسلمين به على خير تام وصلاح عام بحُسن سياسته وجميل نظره...».(المراكشي، 2012، صفحة 471).

وتوجد وثيقة رسمية تنص بالحرف الواحدة أن الملك خايمي الأول يقر بتعيين المشرفAlmojarifeأبي عثمان سعيد بن حكمAbo EzmanzayedIbenHaquim حاكما على جزيرة منورقة، كما أن هناك وثيقة ثالثة يُعلن فيها الملك خايمي الأول تسليمه بإعطاء مقاليد الحكم من بعد الرئيس سعيد لإبنه ووريثه من بعده، كما توجد ضمن هذه الوثائق بعض النصوص التفسيرية من بينها الجزية السنوية، التي يدفعها مشرف جزيرة منورقة لخزانة الملك سنويا، والتي تتكون من مقدار متفق عليه من الدنانير الذهبية بين الطرفين، وكميات محددة من الحبوب والغِلال والماشية، بالإضافة إلى الهدايا والتحف والأقمشة الحريرية، كما تُجَدَّد هذه الاتفاقية تلقائيا عاما بعد آخر.(سيسالم، 1984، صفحة 449).

لقد رحب الملك خايمي الأول بعقد هذا الاتفاق لانشغاله بثورة أهل ميورقةMajorcaمن جهة وتطلعه إلى الاستيلاء على إمارة بلنسية Valenciaالمجاورة

* أبو يحيى بن يحيى بن أبي عمرانالتنمللي، رابع الولاة الموحدين على جزر البليار، منذ أن انتزعها هؤلاء من بني غانية سنة (600 هـ / 1203 م)، وبقيت الجزيرة تابعة لهم إلى أن استولى عليها خايمي الأول سنة 627 هـ / 1229 م، بحيث قبضوا على واليها أبا يحيى وأُعدم هو وولده، أنظر،)عنان،1990 ،الصفحات(407 - 402

لمملكته من جهة أخرى، كما أنه وجد في الإتفاق كسبا ماليًا ومعنويًا، وفي نفس الوقت ارتبط سعيد بن حكم بعلاقات وثيقة مع مملكة قطلونيةCataluñaوأرغون Reino de Aragón، وكان مسموع الكلمة عند هذا الملك.

وكان المُشرَّدون من أهل الأندلس يلجئون إليه ويستنجدون به لإنقاذ أسراهم، فكان يلبي نداءهم، ويفتدي أسراهم ويوفر لهم الأمن والاستقرار في منورقة، ومن أراد منهم التوجه إلى أي بلد من دار الإسلام أرسله في إحدى سفن أسطوله وزوده بكل ما يحتاجه، فازدهرت منورقة في عهده وأصبحت ملجئا للعلماء والأدباء والفقهاء الذين وجدوا من هذا الرئيس كل الرعاية والكرم.

4. إزدهار جزيرة منُورقة تحت حُكم سعيد بن حَكم:

اكتسب سعيد بن حكم ثقة ومحبة أهل جزيرة منورقة وملك قلوب أهلها بفضل سياسته الحكيمة وما وفره لأهلها من أمن وسلام بعد توقيع عقدي المتاركة مع مملكة قطلونية وأرغون، ولهذا وقف أهل الجزيرة إلى جانبه عندما ثار عليه القاضي محمد بن أحمد بن هشام ، لكنه تمكن بفضل مؤازرة أهل الجزيرة من القضاء على فتنته في شوال سنة 631 هـ/ جويلية 1234 م، (ابن الأبار، 1985، صفحة 320) ولمَّا استقر سعيد بن حكم بجزيرته نظَّمها أحسن تنظيم فحَسُن بها«... تدبيره وعلا قدره وأعظمته الملوك، وكان بعيد الهِمة اجتلابا لأهل العلم ...».(ابن الخطيب، 1956، صفحة 275).

وازدهرت الحياة العلمية في عهده، لتقديره للعلم والعلماء، فقد كان هو نفسه عالما نحويا أديبا شاعرا مُحدِّثا فقيها، فأضحت منورقة في عهده مركزا علميا هاما لحفظ التراث الإسلامي من الضياع والملجأ الأمين لعلماء الأندلس الذين عصفت بهم الهزائم المروِّعة، وشردتهم عن أوطانهم، فوجد هؤلاء الحياة الكريمة في رحابه، وأسهموا تحت رعايته بنصيب في التراث الإسلامي طيلة خمسين عاما من حكمه لجزيرة منورقة.(سيسالم، 1984، صفحة 450)

كان سعيد بن حكم يشجع العلماء في كافة أقطار المشرق والمغرب، ويرسل لهم الهبات والعون مع مبعوثيه فكانت«... صِلاته تصل في كل وقت إلى جماعة من الفقهاء والصالحين ببجاية... »، (الغبريني، 1979، صفحة 304) ولم يكن أبو عثمان عالما جليلا وحسب بل كان منظما إداريا قديرا بارعا، فاتخذ لنفسه الكُتَّاب منهم أحمد بن محمد بن نجوت،* و الفقيه أبو عبد الله البُرّي،** يضاف إلى ذلك أنه كان اقتصاديا حصيفا جعل جزيرته منورقة مزدهرة اقتصاديا كافية لحاجات سكانها ، فتكاثر الوافدون عليه من كل البلاد، وانتشر بفضل هذا التوافد البشري العمران والتجارة، كما أضحت الجزيرة معبرا تجاريا من البلاد الإسلامية إلى الحوض الغربي للمتوسط والممالك

*أحمد بن محمد بن نجوت الحِجري ، شُقري سكن شاطبة ، أبو القاسم بن يامين ،... كان مُتحققا بالآداب بارعا في نثر الكلام ونظمه عُني بذلك ...انتقل إلى ثغر منورقة فكَتب به عن حاميه الرئيس أبي عثمان مدة، ثم آثر التحول إلى بر العدوة فاستوطن تونس وتوفي بها في جمادى الأولى سنة 661 هـ ، من نظمه مخاطبا رئيسه أبي عثمان :

أنفِق مِـن المَالِ ما آتاكَ مَكْسَبُهُ ولا تَصُـدَّنَهُ ما جَاء عَن طُرُقِـهْ
والمَالُ كالمَاءِ إن سُـدَّت مَسَـالِكُهُ فَجَارُ غَمْـرَتِهِ لا بُدَ مِن غَـرَقِـهْ

فراجعه أبو عثمان قائلا :

مَنْ يُمْسِكِ المَالَ بُخْلًا لا مِسَاكَ لَهُ ومن يُفَـرِّقْهُ جُودًا كُنْتُ مِن فِرَقِـهْ
لَا تَشْـدُدَنَ وِزْقًا للضَّعْفِ تَحْـذَرُهُ فَالغُصْنُ يَقْوَى إذَا خَفَفْتَ مِن وَرَقِهْ .(ابن سعيد، 1959، صفحة 53)

** محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري ، تِلمسِيني ، وُشقِيُ الأصل ، روى عن مجموعة من العلماء منهم ابن الأبار وأبي المطرف بن عميرة، وبمنرقة عن أبي عثمان سعيد بن حكم ، كان معتنيا بالأنساب والحفظ لها ، ذا مشاركة في الحديث ورجاله وحظ من النظم، وله مصنفات مفيدة منها الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ومنها العمدة في ذكر النبي والخلفاء بعده وكتاب فريدة اللآئ ... دخل ثغر منرقة فافتكه الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم فاستقر به إلى أن توفي في ربيع الأول سنة 681 هـ، ومولده في ذي الحجة عام 596 هـ ...، أنظر،) ابنالزبير،2008 ،الصفحات(21 - 20

المسيحية، فأضحى بذلك سعيد بن حكم«... مرغوبا فيه من أصناف الناس، فانتابه أهل العلم وطَلبتِه من بلاد الأندلس وبر العدوة...». (المراكشي، 2012، صفحة 32).

كان سعيد بن حكم وثيق الارتباط بالحفصيين في افريقية، وكان يخطب على منابره بجزيرة منورقة باسم الخليفة الحفصي المستنصر بالله،بعد أن بايعه أميرا للمؤمنين، لأن دولة الموحدين في هذه الفترة كانت تعاني من الصراعات الداخلية وأغلب الحواضر الأندلسية نبذت طاعة حكامها، وهذا كان سببا في تقوية مركز سعيد بن حكم في الأندلس.*

استطاع سعيد بن حكم إبقاء جزيرة منورقة في مأمن من كل خطر بفضل سياسته ودهائه، وانشغال مملكة قطلونية عنه في اقتطاع أجزاء واسعة من البر الأندلسي، و لكن ما إن توفي سعيد بن حكم في 27 رمضان سنة 680 هـ / جانفي 1281، تولى الحُكم بعده إبنه حكم بن سعيد الذي لم«... يستقل استقلال أبيه، ولا نهض نهضته، فانصرفت أطماع العدو البرجِلوني المجاور لثغره لتملكه فتم له ما أراد...»،(ابن الخطيب، 1956، صفحة 276) وكان هذا بسبب تأزم العلاقات بينه وبين مملكة قطلونية وأرغون، واتضح أن ذلك السلام لم يكن إلا سرابا، بحيث أصبحت جزيرة منورقة على بركان ملتهب.

* ذكر ابن سعيد المغربي أن سعيد بن حكم خاطب المستنصر الحفصي بأبيات معترفا له بالخلافة منها :

يَا أمِير المُـؤْمِنينا يـــا إمَـامَ العَالمِينَا
نَحنُ مَا دُمتَ بِخيرٍ لَا نَزَلْ فِي الدّائِمينَا
أمّن اللهُ بِكَ الـخَائِف آمِينا آمِـــينَا(ابن سعيد، 1959، صفحة 30)

5. أهم العلماء في دولة سعيد بن حكم القرشي:

كان طبيعيا في ظل الجو المشوب بالفوضى والحروب التي طبعت الأندلس والمغرب في فترة ما بعد سقوط جزيرة ميورقة في يد النصارى سنة 627 هـ / 1230 م، أن تكون الجزيرة الأخرى مِنورقة ملاذا آمنا للفارين من نار الحروب، فكانت جزيرة سعيد بن حكم مقصدا لهم، حتى أصبح بلاط سعيد بن حكم يَعُج بالعلماء من كل صقع، فكان كما ذكر المؤرخون كهفا للغرباء وملاذ كل طريد من العلماء والأدباء ، فلا نكاد نجد ثناءً على رجل من ملوك الطوائف، كما نجد في الثناء على أبي عثمان هذا، فشخصيته الفذة التي استطاعت أن تصمد في بحر متلاطم من الأعداء، هي التي جعلته محل إعجاب وتقدير كل من ترجموا له من المؤرخين، ومن مدحه من الأدباء والعلماء شعرا ونثرا(المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1988، صفحة 472).

بعد هجرة العديد من العلماء من شتى البقاع من الأندلس إلى جزيرة منورقة أضحت هذه الأخيرة أشهر مراكز القراءات في غرب العالم الإسلامي، وورثت في ذلك عراقة جزيرة ميورقةفي هذا العلم، وأشهر العلماء الذين لجئوا إلى كنف سعيد بن حكم الفقيه محمد بن علي بن محمد العبدري*الميورقي، أصله من قرطبة ونزل منورقة بعد تغلب العدو على بلده، وكذلك محمد بن علي بن عثمان الأُزدي الذي كان معنيا بالفقه وحفظ المسائل، وتولى القضاء بمنورقة بأمر من أميرها سعيد بن حكم، واستمر على هذا الحال حتى توفي وهو على قضائها في ربيع الآخر سنة 670 هـ / 1271 م(المراكشي، 2012، صفحة 499).

*محمد بن علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن أحمد بن علي العبدري ، أبو عبد الله بن عائشة ... روى عن أبي عثمان سعيد بن حكم وأكثر عنه ...وعليه حفظ القرآن ودرس عليه الفقه والنحو والأدب، وأجاز له وكان فقيها نحويا أديبا ، توفي بتونس قبل سنة 653 هـ ،أنظر،(المراكشي، 2012، صفحة 482)

وكان من بين العلماء أيضا ابن أخت الرئيس أبي عثمان سعيد بن حكم، الفقيه غالب بن عبد الملك بن عبد العزيز الكلبي*، كما كان في رحاب أمير منورقة الفقيه العادل بن إبراهيم العادل العبدري الذي روى عن أميره أبي عثمان، فكان مشاركا في جملة من العلوم، وذا حظ من قرض الشعر(المراكشي، 2012، صفحة 181)، كما كان في عداد المشتغلين من العلماء في مجال التعليم الفقيه علي بن يحيى التجيبيالمنرقي إذ درَّس بها زمانا فانتفع به الناس أيَّما انتفاع، واشتهر إلى جانب هذا بالفضل والصلاح وكان خطيبا عالما(المراكشي، 2012، صفحة 721).

كما ضم بلاط سعيد بن حكم الفقيه عبد الملك بن أحمد بن مُفوَّز المعافري الذي كان مشاركا في جُلة من فنون العلم، ناظما ناثرا، واستُقضي بغير موضع ومنها منورقة، فحُمدت سيرته هناك،بل إنه برع في مجال التأليف وله مصنف سماه "تَشَوُّف الأريب لِتأَلُّف الغريب"، وأسمع بتونس ومنورقة.**

ولابن مفوز هذا قصة مع أمير منورقة، ملخصها أن أبي سعيد بن حكم إجتلب هذا المُحدث للرواية عنه، وسماع كتاب البخاري عليه، واغتنم ذلك لبنيه ليتفقهوا على يدي هذا المُحدِّث، فبينما إبن مفوز يقرأ الكتاب والرئيس أبي عثمان بين يديه حتى«... أُتِي له برجل قد شرب الخمر، فأمر به فضُربت عنقه، فطوى ابن مُفوز الكتاب وحلف أن لا يُسمِع عليه من حديث وقال: حفظك الله نطلب رواية السنة وتصحيحها، وتتعدى حدود الله هكذا، والله لا سمعت مني حرفا أبدا فقال: يا فقيه هذه الجزيرة كثيرة العنب والناس يشربون الخمر بها ويسكرون، فيُضيِّعون علينا الاحتراس فيظهر علينا العدو...»،(ابن الخطيب، 1956، صفحة 276) وهذا دلالة على عدم تساهل الرئيس

*غالب بن عبد الملك بن عبد العزيز بن موسى الكلبي ، روى عن خاله أبي عثمان سعيد بن حكم ...، أنظر،(ابنالقاضي،1970 ،صفحة260)

**عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن طاهر بن حيدرة بن مفوَّز المعافري أبو الحسين ، شاطبي ، ... توفي في محرم سنة 660 هـ ، ومولده 596 هـ ... ، أنظر ،(المراكشي، 2012، صفحة 6)

الفقيه أبي عثمان سعيد بن حكم حتى في أهون الأمور، وحرصه على ضبط الجزيرة من كل النواحي، وتشدده في كل صغيرة حتى لا تضعف جزيرته وتصبح فريسة سهلة للأعداء.

كان بلاط سعيد بن حكم يجمع العلماء والشعراء كما ذكرنا، وكان كثير الفداء للأسرى فقصدته الصفوة من كل صوب، فامتدت بذلك شُهرته في الآفاق وخلع عن مجموعة من العلماء ربقة الأسر من الحُسباء والشعراء والأدباء، وذكر ابن سعيد في هذا قائلا«... وكم سمعت أن أديبا أو غريبا أو سَليبا خاطبه يشكوا انكسار حاله فجبره، وسَرَى إليه مُستميحًا خائضًا البحر فأنشره... ».(ابن سعيد، 1959، صفحة 28).

ومن جملة العلماء الذين فداهم الرئيس الفقيه سعيد بن حكم ، الفقيه أحمد بن محمد القيسي، كان من أهل قرطبة يعرف بابن حُجة،* ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه كان راحلا عن اشبيلية إلى سبتة فامتحن هو وأهله وأولاده بالأسر، وأُحتُمِل إلى منورقة أو إحدى جهاتها، ففداه أهلها وهو قد أشقَى على الهلاك، لِما لقيه من شدة التنكيل والتعذيب، فمكث بمنورقة نحو ثلاثة أيام، وتوفي بها سنة 643 هـ / 1245 م وقيل أنه توفي في ظهر البحر(المراكشي، 2012، الصفحات 649 - 650).

6. جزيرة منورقة في عهد الرئيس الفقيه حكم بن سعيد بن حكم:

وصف ابن الخطيب الرئيس حكم بن سعيد بالفقيه وقال أنه«... كان أفضل من أبيه من دَمَائة الخلق، والعفة عنالدماء، والإيثار والإجتناب للعظائم، مع حُسن الخط ورواية الحديث وقرض الشعر،إلا إنه لم يستقلاستقلال أبيه ولا نهض

* أحمد بن محمد بن محمد القيسي، من أهل قرطبة يعرف بابن حُجة ويُكنى أبا جعفر... له تأليف "منهاج العباد" وكتاب "تفهيم القلوب في آيات علام الغيوب"...سكن إشبيلية بعد خروجه من قرطبة وأسرته الروم في البحر، وأُمتحن بالتعذيب وتوفي على إثر ذلك بميورقة سنة 643 هـ ... ، أنظر،(إبنالأبار،1995 ،الصفحات 108 – 109)

نهضته...»،(ابن الخطيب، 1956، صفحة 276) تولى حكم جزيرة منرقة بعد وفاة أبيه، وكان يتميز بالنُبل وسُمو النفس ورِفعة الثقافة، وكان والده قد اعتنى بتعليمه، ولكنه لم يكن عصاميا كأبيه الذي تقاذفته الأحداث فأصبح ذروة في الدهاء والحنكة والبراعة في السياسة، مما مكنه من تدعيم مركز حكمه، وكان حَكَم بن سعيد يفتقر إلى هذه المواهب، وإن كان يفوق والده في القيم الخُلقية والمثل العليا(سيسالم، 1984، صفحة 451).

والحقيقة أن الإبن لم يُعطَ الفرصة لإثبات جدارته نظرا للظروف الخارجية والداخلية القاهرة، لا لعجز فيه أو قِصر لديه، مما أدى إلى تأزم العلاقات بينه وبين مملكة قطلونيةوأرغون، ويعود سبب ذلك إلى قيامه بإنذار الحفصيين في إفريقية من حملة* مرتقبة يُعدها ملك قطلونية وأرغون على ثغر "القُل" سنة 681 هـ / 1282 م، لهذا استعد السكان وجابهوا الحملة وبالتالي تأزمت العلاقات بين حكم بن سعيد ومملكة قطلونية وأرغون، وأُتهم مُشرِّف جزيرة منورقة بالخيانة والتحلل من دفع الجزية والسعي إلى الاستقلال بالاستعانة بقوات من إفريقية(سيسالم، 1984، صفحة 452).

لم يطُل حكم الابن، فبعد صراع مرير وطويل مع مملكة قطلونية، ذكر ابن الخطيب أنه اضطر إلى تسليم الجزيرة للنصارى سنة 686 هـ / 1287 م، ولحق هو وولده وأهله بسبتة ومنها عزم على الرحيل إلى تونس في قصة طويلة رواها ابن الخطيب، ملخصها، أنه كان«... له أولاد كالنجوم جَمالاً ووسامةً، وكان نِسائه وخَدمُه يلبسن غفائر** حمراء، منسدلة عليهن في زي غريب ، وركب البحر هو وبنوه، ذكورهم

*لمزيد من التفاصيل حول مجريات هذه الحملة وقيام أبو بكر بن عيسى الكومي عامل قسنطينة المكنى بابن وزير بالثورة على الحفصيين في افريقية واستعانته بالملك "بيدرو الثالثPietro III d'Aragón"ملكقطلونية وأرغون، أنظر،(ابنالقنفذ،1968 ،صفحة139)

**غفارة، عند أهل المغرب رداء أحمر، وفي تونس غفارة رداء رقيق أحمر يغطي كل الجسم، أنظر،(دوزي، 1980،صفحة416)

وإناثهم وحاشيتهم قاصدا تونس...» لكنه خاف على شرف أهله وبناته من صاحب المركب الذي أقَلَّهم إلى تونس، فلما كانوا بالطريق سَدَّ منافذ "الطارمة" وهي أسفل القارب، فهلك هو وأهله ولم يبق منهم أحد .(ابن الخطيب، 1956، الصفحات 276 - 277)

خاتمة :

أضحت دولة سعيد بن حكم ملاذ المشردين وكهفًا للغرباء من شتى أصناف الناس ومن جميع أنحاء الأندلس، خاصة فئة العلماء الذين غصت بهم جزيرته، وزاد على ذلك بأن افتدى الأسرى من كل الجهات، فازدهرت بذلك جزيرته في شتى النواحي بفضل سياسته الرشيدة، إذ عمل على حماية منورقة من الأخطار الخارجية وأجبر القطلان على الاعتراف بدولته، وبذلك عرفت فترة حكمه استقرارًا ساهم في ازدهار الجزيرة من كل النواحي خاصة العلمية منها .

ولا شك أن السر في هذا يعود الى شخصيته العلمية بحيث كان فقيها وشاعرا، الأمر الذي انعكس على حياته السياسية عكس الكثير من الشخصيات التي ثارت إبان هذه الفترة على الحكم المُوحدي، كما ساعده انقطاع جزيرة منورقة عن باقي الجزر الأخرى كـ "يابسة" و"ميورقة" و"فرمنتيرة" على استقرار الحياة السياسية في دولته، يضاف إلى ذلك سياسة عدم التسامح مع الأعداء في الداخل والخارج، الأمر الذي مكنه من إبقاء جزيرته في منأى عن العدو النصراني .

والموضوع ذوقيمة تاريخية، إذ من خلاله يبرز دور الحُكام في حفظ عِرض الأمة وأمنها خاصة إذا كانوا من فئة العلماء، وقيادتها إلى الطريق الصحيح، وما أحوجنا لهؤلاء في زماننا هذا، إذ بهم تستقيم الأحوال، فهم البطانة الصالحة للحاكم، فأمثلة ذلك كثيرة في التاريخ الإسلامي الوسيط، ومع كل الدول التي تعاقبت على حكم المغرب والأندلس .

قائمة المراجع:

1. أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي .(2012) .**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** (المجلد. 1، 2، 3، 4، 5) المحرر. إحسان عباس، (تونس : دار الغرب الإسلامي.

2. أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني ابن القنفذ . .(1968)**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** المحرر. محمد الشاذلي النيفر، (تونس: الدار التونسية للنشر.

3. أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي .(1970) .**درة الحجّ في أسماء الرجال** (المجلد 3 المحرر.أحمد المحمدي أبو النور. تونس : المكتبةالعتيقة.

4. أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي ابن الزبير .(2008) . **صلة الصلة**(المجلد. 3).المحرر .شريف أبو العلا عدوى، القاهرة،مصر : مكتبة الثقافة الدينية.

5. أبي عبد الله ابن الأبار .(1985) . **الحلة السيراء** (المجلد. 2) .المحرر حسين مؤنس، القاهرة :دارالمعارف.

6. أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي إبن الأبار .(1995).**التكملة لكتاب الصلة** (المجلد.1 .3)المحرر عبدالسلام الهراس، بيروت : دار الفكر.

7. أحمد بن أحمد أبو العباس الغبريني.(1979).**عنوان الدراية في منعرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** (المجلد1) المحرر عادلنويهض، بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة..

8. أحمد بن محمد التلمساني المقري.(1988). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** (المجلد .4) المحرر احسان عباس، بيروت : دارصادر.

9. رينهارت دوزي .(1980). **تكملة المعاجم العربية** (المجلد1) .المترجمون محمد سليم النعيمي، (بغداد، العراق : دارالشؤون الثقافيةالعامة.

EISSN: 2602-781X————————ISSN: 2253-0347

10. عصام سي سالم .(1984) .**جزر الأندلس المنسية**. المجلد .بيروت،لبنان : دارالعلم للملايين.

11. علي بن موسى المغربي ابن سعيد .(1959) .**إختصار القدح المُعلى في التاريخ المُحلى**. المجلد .المحرر إبراهيم الأبياري، القاهرة، مصر : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

12. علي بن موسى المغربي إبن سعيد .(1959) .**الغصون اليانعةفي محاسن شعراء المائة السابعة** (المجلد) .(إبراهيم الأبياري، المحرر القاهرة، مصر : دارالمعارف.

13. لسان الدين السلماني ابن الخطيب .**(1956) .تاريخ اسبانيا الإسلامية و كتاب أعمال الأعلام في منبويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام** (المجلد3). المحرر لافيبروفنصال، بيروت، لبنان : دارالمكشوف.

14. محمد بن عبد المنعم الحميري.(1984).**الروض المعطار في خبر الأقطار**.(المجلد 1) المحرر .إحسان عباس، بيروت،لبنان: مكتبة لبنان.

15. محمد عبد الله عنان.(1990).**دولة الاسلامفي الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى. القاهرة، مصر : مكتبةالخانجي.